

« لعل الفجوة التي تقفل الآن بين السياسة المصرية والسياسة العربية ترجع الى أن القيادة في مصر تتصرف من منطلق أكتوبر ٧٣ في حين مازالت السياسة العربية تسلك مسيلها بوحى من حزيران ٦٧ . وفسرق كسبير بين الذي يتصرف من منطلق النصر والذي تغلبه الهزيمة »

متى تتخلص السياسة العربية من عقدة حزيران ؟

د • نبيل راقب

فمن الاشتباك الاول بين مصر واسرائيل ولم تبدأ نشرة سوريا الا مندوبا طلبا الرئيس السادات من الدكتور كيمسجر القيام بنفس من الاشتباك بين سوريا واسرائيل بحيث جلت اسرائيل من مساحات من مرتعات الجولان وحصلت سوريا على مدينة القنيطرة التي كانت قد فقدتها بعد اجتياح القوات الاسرائيلية للقوات السورية حتى عشرون ميلا من دمشق ذاتها .

ثم جاءت اتفاقية فض الاشتباك الثاني بين مصر واسرائيل في سبتمبر ١٩٧٥ وكانت هذه الاتفاقية قد فشلت قبل ذلك في مارس ١٩٧٥ . لكن الرئيس السادات تصرف بروح أكتوبر وقام بانتحاق القناة في ٥ يونيو ١٩٧٥ مما كان له دور حضاري هائل في جميع أنحاء العالم . وعندما وقعت اتفاقية فض الاشتباك الثاني في سبتمبر ١٩٧٥ أصابت الدول العربية إياها نفس من النشج والصراخ والمويل ، ووصل بها الأمر الى تعطيل السيارات المصرية في كل من سوريا وليبيا والجزائر والعراق . وعندما قام الرئيس برحلته الى أمريكا وأوروبا في أكتوبر ونوفمبر ١٩٧٥ أرسلت تلك الدول بطلابها ومبعوثيها لكي يشتركوا مع الفلسطينيين في تشويه صورة الرحلة أمام المسالم الخارجى وذلك بالهتاف ضدّها . وكانت النتيجة أن وقفوا على نفس السرفيف الذي وقف عليه الاسرائيليون لهاجمة وظل أكتوبر .

وتكررت نفس العيون العربية ويرجات متزايدة مع مبادرة السلام ومؤتمر كامب ديفيد . وهذا التكرار دليل على دابع على إين العسرب لم يتخلصوا بعد من عقدة يونيو أو عقدة حزيران كما يسمونه . ولعل الفجوة التي تقفل الآن بين السياسة المصرية والسياسة العربية ترجع الى أن القيادة في مصر تتصرف من منطلق أكتوبر ١٩٧٣ في حين مازالت السياسة العربية تسلك مسيلها بوحى من حزيران ١٩٦٧ . فمن الواضح أن أكتوبر لم يكن له وجود في حياة الدول التي تسمى نفسها بجهة الرضى العربى ، وبالتالي فهي تتصرف بنفس الأسلوب الذي ساد العالم العربى في أعقاب يونيو ١٩٦٧ ، وهو الأسلوب الذي وصفه موسى ديان في تصريحه

الصحنى في يناير ١٩٦٨ عندما تكلم عن العالم الذي يعيش فيه العسرب والذي لا يهتم لتحقيق الواقع بسلّة ، ذلك لأن الحقيقة بالنسبة لهم هي الجيم الذي يدفعهم الى ابتلاع حبوب الكذب والوهم الذي يسيطر عليهم في النهاية . كان الإجدد بالعرب — بعد حرب أكتوبر — أن يحجوا من ذهن المسالم هذه الصورة السلبية عنهم . لكن سلوكهم العملى يؤكد أنهم لا يمتنعون بأكتوبر الذي فرض نفسه على العالم

أن من يتبع ما جرى في الساحة العربية منذ حرب أكتوبر ١٩٧٣ يصاب بحيرة بالغة عندما يتكلم عن الدول العربية التي تسمى نفسها بجهة الرضى مازالت تتصرف بروح الإنزامية والنشج والصراخ التي سادت العالم العربى منذ الخامس من يونيو ١٩٦٧ . وكان التغيير الجذرى الذي أصاب المسالم كله سياسياً وعسكرياً واقتصادياً بعد حرب أكتوبر ، كأنتم يكن . ويبدو أن العرب قادرون على تغيير المسالم أما تغيير أنفسهم فهذا من رابع المستحيلات بالنسبة لهم . انها ظاهرة غريبة وشاذة حقاً . فلم يحدث في تاريخ العالم كله أن استطاع شعب أن يحرز نصراً فريداً على عدوه بعد هزيمة ساحقة بنى بها ثم يتجاهل هذا النصر كأنه لم يكن ويتصرف على أساس من الهزيمة القديمة التي كان من المفروض أن يمسحها تماماً من صفحات ذاكرته .

لساذاً لا يريد العرب العرب « وفى الحقيقة كان من المنطى عقب نهاية حرب الأيام الستة ، حينما اكتشف العرب اننا قابعون على ضفاف نهر الأردن وقناة السويس ، أن يتجهوا الى المفاوضة . ولكن — وبعد مرور عام كامل — لم يحدث شيء . ليس ذلك بسبب أن الحقيقة لا تنقل كاهلهم ، ولكن لان عقليتهم تتف وكأنها حاجز بينهم وبين الواقع ، وتنع عيونهم من أن تراه كما هو . انهم يفضلون تجاهل الواقع مادامت المفاهيم الخيالية التي يعيشون على حديقها لم تتحطم بعد .

هذا ما قاله موسى ديان بعد كارثة يونيو ١٩٦٧ بما لايزيد من ستة أشهر ، وهو ما رددته أجهزة الاعلام الصهيونية معتادة في ذلك على الإبعاد الرهيبة للهزيمة المنكرة التي أصعب بها العرب ، ونظراً لان العالم لا يتنقع الا بمنطق النتائج المادية المدوسة ، فقد تقبل الوضع الجديد الذى نتج من حرب يونيو وخاصة أن الامة العربية كانت تبدو في ذلك الوقت وكأنها جثة تلفظ أنفاسها الأخيرة ولا يسدر منها سوى النشج والفتن والأتين الخافت بينا العرب يجهطون بالجثة وهم لا يملكون سوى البكاء والنشج ولطم الخدود . من هنا كانت الثقة التي تبدو في كلام ديان من أن العرب لا يريدون الحرب ، ولم يكن يعلم أن حرب أكتوبر ستشكل — بعد ذلك بثمان سنوات — بتسلف هذه الأوهام الاسرائيلية التي هيمنت على جرائل اسرائيل وفادتها الذين لم يعترفوا أنهم لم يهزموا العرب في يونيو ١٩٦٧ لأن العرب كانوا اسبق الى هزيمة أنفسهم ، ثم جاءت اسرائيل لكي تطفئ ثمره النصر الكبير التي لم تفقد في ريبها سوى يسع قطرات بسيرة من دماء جنودها .

ثم جاءت حرب أكتوبر لكي تستيقظ اسرائيل من الحلم الذهبى المسيد الذي عاشته على الضفة الشرقية لقناة السويس . وأصبح أكتوبر بالنسبة لها كابوساً يزيد الاستقبال منه ولا تستطيع وأخذت الحكومة الاسرائيلية على هاتفها مهمة توفير جو غير حقيقى بل وخيالى لكي يعيش فيه مواطنوها فربا من وطأة الهزيمة . وانقلب وصف ديان للعرب

اننا بهذا نؤكد ما قاله هنا عدونا من اعقاب كارثة يونيو ١٩٦٧ وحاول ترسيخه في ذهن العالم على أساس أنه جصاص ثابتة في الشخصية العربية . لقد قال موسى ديان في تصريح صحفى له في يناير ١٩٦٨ مندبا كان يشغل منصب وزير الدفاع الاسرائيلى ، وعندما كانت اسرائيل تملك العالم بدوى انتصارها في الخامس من يونيو ١٩٦٧ قال ديان :

« ان العرب يعيشون في عالم غير حقيقى . وهم يعلمون ذلك غالباً مثلهم كمثل الشخص الذى يحتاج الى الحشيش حتى يشعر أنه يعيش في جنة عدن . بالحقيقة بالنسبة لهم هي الجيم ! والعلاج هو ابتلاع حبة من حبوب الكذب ، التي تعطى لهم الاحساس بالجنة . غالباً ما يبدو أن كل العرب سوعلى كابة المستويات — يصرفون وكأنهم تحت تأثير المخدر . والحقيقة ان الوهم اسوا من الكذب . فانت قد تكذب مايد ، وتسيطر على كذبتك ، أما بالنسبة للوهم فهو الذى يسيطر عليك في النهاية . ان العقلة العربية لا تشغل فكرى كمشكلة سيكولوجية ، انها تقمر لي

لجاء ابنائها لتقل بحال من الاحوال من تيعانها لجاء ابنه الامة العربية . بل ان المثل المصري يؤكد ان « من لا خسر في نفسه لا خسر له في غيره » . ولقد دمعت مصر ضريبة الدم اضحاما مضاعفة من أجل كرامة الامة المصرية التي بلغت ذروتها في أكتوبر ١٩٧٣ ، أما عدم لفحص بعض الدول العربية من عقدة هزيمة حزيران فلا يشكل دافعا — مائة هال من الاحوال — لكي تسلك مصر نص المسلك الإنزامى المريض .